مجلة العميد
Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

يوسف وامرأة العزيز بين اتهامه والشهادة له بالبراءة

حامد عبد المحسن كاظم[1]

١-جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية، العراق؛
hum.hamid.abd@uobabylon.edu.iq
دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

تاريخ الاستلام:
٢٠٢٢/٩/٢٧

تاريخ القبول:
٢٠٢٢/١٠/١٣

تاريخ النشر:
٢٠٢٣/٦/٣٠

ملخص البحث:

(يوسف وامرأة العزيز بين اتهامه والشهادة له بالبراءة) بعد استعراض مفاصل القصة المختصة بهذا الجزء منها أن لامرأة العزيز تجاه يوسف موقفين تجلى الاول منهما باتهامها إياه بالاعتداء عليها أمام زوجها العزيز على الرغم من انها هي من كادت له وراودته، وكان هذا الاتهام بدوافع غريزية، وأُدخل من جراء هذا السجن، ولبث فيه بضع سنين ظلما.

وتجلى الثاني أمام الملك بعدما شهد النسوة ليوسف بأنهن ما علمن عليه من سوء هنا استجمعت امرأة العزيز شجاعتها الانسانية واعترفت أمام الملك بالحقيقة في كونها هي من كادت ليوسف وراودته وانه لمن الصادقين، وكان هذا الموقف بدوافع عقلية ليخرج من جراء هذه الشهادة من السجن ويكون عزيز مصر الجديد.

الكلمات المفتاحية:
يوسف، امرأة العزيز، الملك، النسوة، السجن.

السنة(١٢)-المجلد (١٢)
العدد (٤٦)
ذو الحجة ١٤٤٤هـ
حزيران ٢٠٢٣ م

DOI
10.55568/amd.v12i46.33-52

CC BY NC

Yusuf and the Wife of `Aziz between Accusing Him and Bearing Witness to His Innocence

Hamid `Abidalmuhssin Kadhim[1]

1- University of Babylon/ College of Education for Humanist Sciences / Dept of Arabic, Iraq; hum.hamid.abd@uobabylon.edu..iq
PhD in Arabic Language/ Professor

Received:
27/9/2022
Accepted:
13/10/2022
Published:
30/6/2023

Keywords:
Joseph, wife of Aziz, king, women, prison.

Abstract

After reviewing the details of the story related to this part of it, our research, is marked with: "Yusuf and the Wife of `Aziz between Accusing Him and Bearing Witness to His Innocence" to show that the wife of Al-Aziz has two attitudes, the first was clear by accusing him of assaulting her in front of her husband, even though she was the one who almost approached him and tempted him. Such was the accusation motivated by instinctive motives, and he was imprisoned as a result of this unjust prison for a few years.

The second appeared before the king after the women bore witness that they knew the evil. Here, the wife of Aziz summoned her human courage and confessed before the king the truth in that she was the one who almost wanted Yusuf and tempted him. Here was the of the new Aziz to Egypt.

Al-Ameed Journal

Year(**12**)-Volume(**12**)
Issue (**46**)

Dhu al-Hijjah 1444 AH
June 2023 AD

DOI
10.55568/amd.v12i46.33-52

CC BY NC

المقدمة:

أثارت الآيتان (٥٢ و٥٣) من سورة يوسف تساؤلات كثيرة في ذهني وأنا أقرأ السورة مرارًا، وهما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾ [يوسف:٥٢، ٥٣].

وبعد تأمُّل وتدبّر ارتأيت أن أتوسع في نطاق التأمل في السورة الكريمة وقصتها المعهودة، ولو بصورة محدودة تبدأ من اشتراء العزيز يوسف لتنتهي بتمكين يوسف من مقام العزيز.

ورأيت أنَّ أبرز تأملاتي السابقة بصورة بحث وسمته بـ(يوسف وامرأة العزيز بين اتهامه والشهادة له بالبراءة). قسمت البحث فيه إلى تمهيد ألقيت الضوء فيه على المقدار المعني من آيات السورة بالبحث ثم تعاقبت عنوانات البحث الأخرى وهي: (مراودة امرأة العزيز يوسف واتهامها له، ويوسف بين نسوة المدينة وامرأة العزيز، ويوسف في السجن، ورؤيا الملك، والنسوة في حظيرة الملك وشهادة امرأة العزيز ببراءة يوسف، ثم وقفة مع الآيتين (٥٢ و٥٣).

وأعقبت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي مكنتني من بناء البحث على صورته المرجوة ...

آمل أن أكون وفقت لما سعيت.

التمهيد:

ما يعنيني من قصة يوسف ﷺ في بحثي هذا الآيات الكريمات المحصورة بين الآية ٢١ – إلى ٥٦ في سورة يوسف، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢١] – ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٥٦].

التي تمثل المرحلة الأهم في قصة النبي يوسف ﷺ وحياته برمتها من اشتراء عزيز مصر إياه عسى أن ينفعه أو يتخذه ولدًا، وما فيها من أحداث الى خروجه من السجن، وتوليه مقام العزيز الذي أخرج مصر وملكها من سني القحط والجدب.

والملاحظ في الآيتين اللتين جعلناهما مفتاحا وختاما لموضوع بحثنا تضمنهما قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [يوسف:٢١، ٥٦]

فالآية التي ابتدأنا بها البحث تضمنت هذا القول الإلهي الكريم وهي تمثل بداية التمكين له بعد ما ضيعه إخوته وألقوه في غيابة الجب...

على الرغم مما جاء بعد ذلك من حدث المراودة ومن ثم السجن، لكن هذا يعد بداية التمكين من لدن الخالق العظيم.

فكان بيت العزيز هو الممهد الأهم للتمكين الإلهي، تلا ذلك أحداث ثم أحداث ثم التمكين الحقيقي بعد أن عبَّر رؤيا الملك واتضحت مظلوميته بعد أن لبث في السجن بضع سنين.

مراودة امرأة العزيز يوسف ﷺ واتهامها له:

يبدأ هذا المقطع من هذه القصة من الآية (٢٢) وهي قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٢] ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢٣] وينتهي عند قوله تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٩].

وقبل الحديث عن هذا المقطع والحديث فيه لابد من إلقاء الضوء على معنى الأشُد في اللغة: فيرى الراغب الاصفهاني: أن الانسان اذا بلغ أشدَّه يتقوَّى خُلُقُه فلا يكاد يزايله بعد ذلك[١]. ويرى ابن منظور أن الأشد هو مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة[٢].

والواضح من المعنى اللغوي للفظة أنها تعني بلوغ المرء الذروة في بنيتيه الجسمانية والعقلانية.

فلما بلغ يوسف ﷺ هذا المبلغ من العمر حصلت المراودة له من قبل امرأة العزيز، وكانت من جانبها حصرا ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾ [يوسف: ٢٣] فعاذ بالله من فعلها فقال ﴿ **مَعَاذَ اللهِ** ﴾ [يوسف: ٢٣] والعوذ في اللغة: هو الالتجاء إلى الغير والتعلق به[٣]. فكيف بمن عاذ بالله والتجأ اليه...

وتستمر المراودة بعد ما لم تحصل منه الاستجابة ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ** ﴾ [يوسف: ٢٤] وهو همٌّ تحقيق بعد أن يسبق فعل الهم بمؤكدين هما اللام الواقعة في جواب قسم محذوف وقد الدالة على التحقيق بعد إسناد فعل الهمّ إليها.

﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾ [يوسف: ٢٤] والكلام فيه مبني على تقديم جواب لولا عليها، وتقدير الكلام ولولا أن رأى برهان ربه هم بها، ولولا هنا هي أداة امتناع لوجود[٤]. وتفسير الكلام في ضوء ما تفيده لولا من معنى، انه امتنع همه بها لوجود برهان ربه.

وهذا يدل على أن الهمّ من يوسف ﷺ لم يحصل أساسا إذ هو ممتنع عنه لوجود برهان ربه، وهذا البرهان يستدل عليه بأمثال قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠١] ومعلوم أن ما حصل من امرأة العزيز هو فعلٌ بدوافع شيطانية تلبست هي به، ويوسف ﷺ من المتقين يعرف نواهي الله وزواجره وما يحلُّ له من فعل وما يَحرُم فهو من الذاكرين.

١ الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل الاصفهاني، مفردات الراغب الاصفهاني، د.ط. (دار المعروف للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ)، ٤١٨.
٢ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق. عبدالله علي الكبير، د.ط. (القاهرة، مصر: دار المعارف، د.ت) الجزء الثالث ٢٣٥.
٣ الاصفهاني، مفردات الراغب الاصفهاني، ٥٣٥.
٤ ابن هشام، جمال الدين بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، د.ط. (بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت) الجزء الأول ٢٧٢.

ويستمرُّ همُّ امرأة العزيز بيوسف ولكنه يحاول التخلص من هذا المأزق الرهيب فيدور في ذهنه الهروب من الفخ المُعدِّ بعناية بعد تغليق الأبواب: ﴿ **وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ** ﴾ [يوسف: ٢٣] وصيغة (فعَّل)، التي بني عليها هذا الفعل تفيد التكثير يقول الرضي مقارنا بين صيغة (فعَّل)، و(أفعل) في إفادة المعنى: ((الغالب في (فعَّل) أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل، كما أن الأكثر في (أفعل) النقل، تقول: (ذبحت الشاة) ولا تقول: (ذبَّحتها) او (أغلقت الباب مرة) ولا تقول: (غلَّقت)؛ لعدم تصور معنى التكثير في مثله بل تقول: (ذبحت الغنم)، و(غلَّقت الأبواب))[٥] [٦].

فيجعل هدفه أحد هذه الأبواب المحكمة الإغلاق من أجل أن يفتحه ويهرب وتجعل هي أيضا غايتها الباب نفسه كذلك من أجل إبقائه مؤصدا: ﴿ وَاسْتَبَقَا ﴾ [يوسف: ٢٥] (واستفعل) صيغة هنا دالة على الطلب[٧]، لكنَّ غايتيها مختلفة.

وفي هذا الحال حصل منها أن ﴿ **قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ** ﴾ [يوسف: ٢٥] وهذا ينبئ عن أن السبق كان ليوسف ﷺ فأمسكت بقميصه من الخلف من أجل منعه من مغادرة المكان حتى تحقيق مآربها لكنَّ المفاجأة الكبرى الصادمة أنهما وجدا سيدها العزيز لدى هذا الباب: ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ** ﴾ [يوسف: ٢٥] وهنا ينقلب فعل امرأة العزيز انقلابا عكسيا فبعد أن كادت بيوسف وأغرته بنفسها: ﴿ **هَيْتَ لَكَ** ﴾ [يوسف: ٢٣] ومزقت قميصه لكنها حين رأت سيدها تنكرت لما حصل منها وألقت بالتهمة على يوسف ﷺ مباشرة ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] وهذا الموقف يعدُّ خيانة انسانية كبرى.

وهي بفعل ما تتمتع به من مكانة اجتماعية تكون مصدَّقة بما قالت أمام تابعٍ صغير ﴿ **شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ** ﴾ [يوسف: ٢٠] فما قدره أمام امرأة العزيز؟

وهو أمام هذا الموقف العصيب ما كان له إلا أن يدفع عن نفسه بصدق ويدلي بقوله ﴿ **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي** ﴾ [يوسف: ٢٦] فأحال فعلها الى نطق صريح ((وراودته...، راودتني)) وصمت، ولقد كان صادقا فيما قال، ولكنَّ أنَّى للعزيز تصديقه وقد اتهمته امرأته بما اتهمته وشهدت عليه بالخيانة وإرادة السوء.

٥ الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق. محمد نور الحسن، د.ط. (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، د.ط) الجزء الأول ٩٢.

٦ شلاش، هاشم طه. والفرطوسي، صلاح مهدي، المهذب في علم التصريف، د.ط. (الموصل: مطبعة التعليم العالي في الموصل، د.ت) ٩٢.

٧ شلاش و الفرطوسي، ٩٩.

وبين اتهام امرأة العزيز يوسف عليه السلام ودفاعه عن نفسه تظهر شهادة شاهد كان يرقب الحدث من كثب ليقول كلمة منطقية منها تولد الحقيقة لمن غاب عن المشهد، وتكون شهادته أدعى للتصديق من سواه؛ لأنه من أهل امرأة العزيز ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا** ﴾ [يوسف: ٢٦] لكن هذا الشاهد لم يكن منحازا إلى جهة، فقد قال كلمة واقعية ومنطقية وترك الحكم فيها للعاقل اللبيب قال ﴿ **إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٦، ٢٧] فقدم في شهادته ما هو حجة لها وأدعى الى تصديقها وتكذيبه، وأخّر ما هو حجة ليوسف وأدعى الى تصديقه وتكذيبها.

كل هذا والعزيز يتأمل الموقف بكل روية وتدبر، إذ هو عقل الدولة ورجلها الحكيم فلما استمع الى شهادة الشاهد ودرس الموقف ورأى ما رأى من انقداد قميص يوسف من الدبر أيقن أن الفعلة كانت من كيد امرأته وأنَّ يوسف بريء، ولذا صرح بما أيقن بغصةٍ تتقطع لها نياط القلوب فقال: ﴿ **إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٨]

وأراد أن يتستر على الحدث الذي دار في بيته ولم يرد له الذيوع والانتشار، فمثل هذه الأحداث تهز كيان البيت وتزعزع ثقة الملك بالعزيز، فقال بصوت خفيض مليء ألمًا ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٩].

يوسف بين نسوة المدينة وامرأة العزيز:

وعلى الرغم من محاولة التكتم على ما حصل في بيت العزيز غير أنه قد نمى الى بعض النسوة المقربات من امرأة العزيز، فاستعظمن ما حصل منها واستهجن فعلها، وهي من هي في مكانتها الاجتماعية السامية؛ فكيف تنزل نفسها وتبذلها لفتى تابع ليس له شأن ولا قيمة... ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠] وواضح من تعبير الآية أن لفظة (نسوة) هو من جموع القلة على وزن (فِعلَة)[٨]؛ لأن جمعها في الكثرة على نساء[٩]

٨ شلاش و الفرطوسي، ٨٧–١٨٦.
٩ ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس ٤٤١٥.

فلما سمعت بكلام النسوة أرادت اختبارهن فيما تعرضت له من معاناة في الهيام بيوسف والشغف به، ولذا ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ ﴾ [يوسف: ٣١] وقعن فيما وقعت به وذهلن من رؤيته فـ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ [يوسف: ٣١] والتعبير بصيغة (أفعل) هنا لإفادة معناه وجود الشيء على صفة[١٠]..، فبعدما كان في أذهانهن قبل الرؤية هينا مستحقرا إذ هو مجرد عبد تابع تحول بعد رؤيتهن البصرية له الى شيء عظيم فأكبرنه أي وجدنه كبيرا، وهو تناقض كبير بين الصورة المتخيلة والواقع الحقيقي؛ ولذا جعلهن هذا المنظر الذي استولى على أحاسيسهن يقطعن أيديهن دون شعور... ترى ما الصورة المختزنة في ذاكرتهن ليوسف قبل الرؤية قياسا بواقع الحال فـ﴿ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] وهن يرددن كلمة التنزيه ﴿ حَاشَ لله ﴾ [يوسف: ٣١] ويردفنها بقولهن: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١] فأين الصورة الدونية للعبد المحتقر من صورة الملك الكريم.

وهنا تتحقق غاية امرأة العزيز من إعداد المتكأ بلجم أفواه النسوة اللائي لمنها فيما حصل منها من مراودة يوسف بعد ما شاهدتهن بأم عينيها، وهن مذهولات مأخوذات برؤية يوسف الفاتنة.

ولذا تذرعت بقولها ﴿ **فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾ [يوسف: ٣٢] من أجل ان يكففن عن الملامة.

وكأن لسان حالها يقول: لقد حصل ما حصل لكن من الذهول وتقطيع الأيدي والإكبار ليوسف ونكران كونه بشرا، والقطع بأنه ملك كريم، من رؤيته مرة واحدة فما بال من تساكنه في البيت لسنين عديدة، إذ نشأ ونما وترعرع حتى بلغ أشده تحت ناظريها؟

ثم إنها أقرت بما حصل منها صراحة وعلى مسامعهن كلهن من مراودة، فقالت ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ [يوسف: ٣٢] الا انه لم يجب ﴿ **فَاسْتَعْصَمَ** ﴾ [يوسف: ٣٢] واستعصم على صيغة (استفعل) ومن معانيها وجود الشيء على صفته[١١]، واستعصم أصله من (عصم) بمعنى: (منع) واستعصم بمعنى (امتنع) وابى اي انه تأبى عليها ولم يجبها الى ما طلبت فوجدته متأبيا ممتنعا من الإجابة[١٢].

١٠ شلاش و الفرطوسي، المهذب في علم التصريف، ٩١.
١١ شلاش و الفرطوسي، ١٠٠.
١٢ ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع ٢٩٧٦.

أي انها أقرت أمامهن بما حصل منها من مراودة وبرَّأت ساحته، ثم إنها لم تأنف عمَّا بدر منها من فعل وصرحت أمام النسوة بإصرار كبير أنها ستكرر ما بدر منها في السابق، وإن تمنَّع فليس أمامه الا السجن والصغار، وأكدت كلامها بواو القسم ولامه وإن الشرطية ولم النافية الجازمة فقالت: ﴿ **وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٢] وهو كلام يحمل وعيدا مرا إن لم تتحقق الاستجابة لمطلبها.

كل هذا يجري أمام مرأى ومسمع من يوسف الذي لا حول له ولا قوة الا بالالتجاء إلى ربه، وهو أمام خيارين، اما الاستجابة لامرأة العزيز والرضوخ إليها في ارضاء مآربها او السجن والصغار، فاختار الثاني على مرارته وذله، فرفع يديه بالدعاء الى ربه متضرعا أن يحقق له ما رغب فيه ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٣] وتأتي استجابة البارئ سريعة لمن لاذ به مخلصا طالبا وجهه الكريم ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [يوسف: ٣٤]

يوسف في السجن:

وعلى الرغم من الدلائل الظاهرة على براءة يوسف مما اتهم به، وإيقان العزيز أن يوسف بريء نقي الثوب وأنَّ صاحبة الجريرة والذنب في كل ما جرى هي امرأته، إلا أنه ومحاولةً منهم للتعتيم على الحقيقة واظهار امرأة العزيز بمظهر المعتدى عليه، ما كان أمامهم إلا بأن يودعوا يوسف في السجن إلى أجل غير مسمى والتعمية على الآخرين بأن يوسف هو المدان ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** ﴾ [يوسف: ٣٥] ويدخل يوسف السجن ويدخل معه فتيان ويلاحظان مثلما يلاحظ نزلاء السجن الاخرون ما عليه يوسف من كياسة وحكمة وسداد رأي: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٢] فيبادرانه بسرد رؤيا قد رأياها في منامهما ﴿ **قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٦] والملاحظ أنهما نعتاه بالإحسان قبل أن يسمعا منه رأيه في ما رأيا، ثم إنه شرع ببيان ما يكتنزه من علم وامكانية اطلاعهما على رزقهما قبل أن يحين موعده وأوكل معرفة هذه الأسرار إلى ربه: ﴿ **قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي** ﴾ [يوسف: ٣٧] كل هذا حصل منه قبل تأويل رؤيتيهما.

ثم يحين منه استطراد وخروج عما سألاه عنه ليبين لمن حوله ماهية ربه الذي يعبده الذي آتاه ما آتاه من حكمة وبصيرة ثاقبة ذلك هو الله الهه وإله آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿ **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨] بعد ذلك يعقد مقارنة بين ربه وبين أرباب الملل الأخرى المتفرقة ليلفت انتباههم الى اختيار الإله الأصلح الذي له الأمر والحكم، فعبادته والتسليم له هو الدين الحق الذي ينبغي أن يصير اليه الناس جميعهم: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

وبعد أن بث فيمن حوله رسالة التوحيد يلتفت الى تأويل الرؤيا التي سأله إياها الرائيان فقال ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ** ﴾ [يوسف: ٤١] وبين لهما ان هذا الأمر واقع حتما وهو مما قضاه الله وأمضاه ﴿ **قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ﴾ [يوسف: ٤١] ثم أنه ساءه أن تبقى التهمة معلقة بجناحه وهو في غياهب السجن فأوصى الناجي منهما أن يذكر مظلوميته عند الملك ﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** ﴾ [يوسف: ٤٢] وفعل الظن هنا يفيد اليقين والقطع[١٣] وليس الرجحان وينسي الشيطان الناجي منهما الوصية لحكمة أرادها الله سبحانه، لكي يكون خروجه من السجن خروجا ليس بطلب منه بل بإرادة الملك بعد أن يتحرى عن الأسباب الحقيقية التي قضت بأن تودع هذه الجوهرة في غياهب الظلمات: ﴿ **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٤٢].

رؤيا الملك:

وتحين لحظة استذكار الوصية ممن نجا منهما ولو بعد بضع سنين، إنها رؤيا الملك التي عجز عن تعبيرها وتأويلها كل افراد الملأ المحيطين بالملك وأحالوها الى أضغاث الاحلام، ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي**

١٣ الاصفهاني، مفردات الراغب الاصفهاني، ٤٦٦.

﴿فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٣، ٤٤] والضغث في اللغة على ما يرى الراغب الأصفهاني ((قبضةُ ريحانٍ، أو حشيشٍ أو قُضْبَانٍ، وجمعه: أَضْغَاثٌ. قال تعالى: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً[ص/ ٤٤]، وبه شبّه الأحلام المختلطة التي لا يتبيّن حقائقها، قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ [يوسف/ ٤٤] : حزم أخلاط من الأحلام))[١٤].

وجاء في اللسان: ((وأَضْغَاثُ أَحلام الرُّؤْيا: الَّتِي لَا يصحُّ تأْويلها لِاخْتِلَاطِهَا، والضِّغْثُ: الحُلْم الَّذِي لَا تأْويل لَهُ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ، وَالْجَمْعُ أَضْغاثٌ))[١٥]

هنا استيقظت الذاكرة النائمة للناجي بعد أن سبتت بضع سنين، وقد استذكر ما أخبرهما يوسف بحقيقة ما سيؤول إليه أمرهما قريبا، وقد استحال ما عبر به الرؤيتين إلى واقع معيش ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥] وادَّكر فعل مزيد على صيغة (افتعل) ومن معاني هذه الصيغة دلالتها على المطاوعة[١٦][١٧]، كأن يوسف حين أوصاه بقوله ﴿اذْكُرْنِي﴾ [يوسف: ٤٢] لم يطاوعه التذكر إلا هذه اللحظة فادكر. وعند تذكره جزم مسابقا انه سينبئهم بتأويل رؤيا الملك قبل اخباره يوسف بها وعبَّر بالجملة الاسمية ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٤٥] لأن الجملة الاسمية تدل على الثبات والقطع[١٨].

انه السجين يوسف هو من يفك لغز رؤيا الملك ويعبر تأويلها ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦] وناداه باسمه ونعته بالصديق مبالغة في إظهار صدق ما يقول وصيغة (فعّيل) هي من أوزان المبالغة السماعية[١٩].

١٤ ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع ٢٥٩٠.
١٥ شلاش و الفرطوسي، المهذب في علم التصريف، ٩٥.
١٦ السامرائي، فاضل صالح، معاني الابنية في العربية، د.ط. (عمان، الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ٩.
١٧ السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، د.ط. (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، د.ت) ٢٤.
١٨ شلاش و الفرطوسي، المهذب في علم التصريف ٢٦٢.
١٩ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط١ (بيروت، لبنان: دار الاندلس للطباعة والنشر، ٢٠١٠م)، الجزء الحادي عشر ١٤٣ و ١٨٥.

ولم يتوان الصديق او يتردد من تأويل الرؤيا بل عبرها مباشرة حال سماعها من قائلها، فما يترتب على هذه الرؤية هي مصلحة عامة يتعلق بها مصير الناس جميعهم: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ [يوسف: ٤٧ – ٤٩] هنا يقع في قلب الملك وعقله صدق هذا التأويل وأنه سيقع حقيقة لا محالة، ولذا أصدر أمره بان يؤتى بمعبر الرؤيا هذا ليتباحث معه في الشأن الذي سيتدبره من أجل الاستعداد لموسمي الخصب والجدب القادمين ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ** ﴾ [يوسف: ٥٠] غير أنه لم يبادر الى الخروج وطلب أن يدقق في سبب إدخاله السجن أولا من أجل إظهار براءته فيما نسب إليه لا ان يخرج بعفو لحاجة الملك إليه.

﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٠] لأنهن يعرفن حقيقة ما جرى، وقد اعترفت امرأة العزيز بمراودته أمامهن وأقسمت أمامهن كذلك إنَّه إن لم يستجب لها ليسجنن وليكونن من الصاغرين، وقد حصل ما توعدته به فألقي في غياهب السجن مظلوما طوال المدة السابقة.

النسوة في حظيرة الملك وشهادة امرأة العزيز ببراءة يوسف:

ويستجيب الملك لسؤال يوسف فيستدعي النسوة ويمثلن أمامه ويبادرهن بالسؤال: ﴿ **مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ [يوسف: ٥١] من أجل أن يستجلي حقيقة الأمر، ويجبن بلسان الجمع ﴿ **قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ** ﴾ [يوسف: ٥١] وهي كلمة تفيد التنزيه[٢٠].

ثم يتبعنها بقولهن: ﴿ **مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ** ﴾ [يوسف: ٥١] والملاحظ في هذه الإجابة أنها متصدرة بنفي ومنفيها نكرة، ودخول النفي على مجرور من النكرة يفيد الاستغراق والتوكيد[٢١]. جاء في المقتضب ((فَإِذا قلت مَا جَاءَنِي من رجل لم يَقع ذَلِك إِلَّا للْجِنْس كُله))[٢٢] يعني أنهن نفين علمهن بأي جنس من أجناس السوء كانت قد لحقت بيوسف مهما تصاغر حجمه، فنفي النكرة يفيد الاستغراق ودخول (من) عليها يفيد التوكيد.

٢٠ السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، د.ط. (الموصل: مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩م)، الجزء الثالث ٧٨.
٢١ المبرد، ابو عباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق. محمد عبد الخالق عضيمة، د.ط. (عالم الكتب، د.ت) الجزء الرابع ٤٢٠.
٢٢ الاصفهاني، مفردات الراغب الاصفهاني، ٢٤٩.

ثم تنفرد امرأة العزيز بالكلام بوصفها المتسبب الأساس لما حصل ليوسف وزجَّه في السجن بقولها ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ [يوسف: ٥١] اي الان حان وقت كشف الحقيقة على الرغم من أن حدث المراودة قد حصل منذ سنين خلت، وحصحص بمعنى بان ووضح[٢٣]. وعبرت بالفعل الماضي (حصحص) على الرغم من أنها ستتكلم في الحاضر للدلالة على أن الأمر بمنزلة الحاصل المستقر الثابت[٢٤]. واعترفت أمام الملك بما حصل منها وشهدت له انه لمن الصادقين بقولها ﴿ **أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢، ٥٣].

والتعبير بـ(ذلك) إشارة إلى ما ستقوله عن يوسف في حضرة الملك لأنه قد حصل منها أنها قد اتهمته وخانت نفسها حين حصلت منها المراودة أول الأمر في حضرة زوجها، وقد تبين لها ﴿ **أَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٥٢] وانها عند اتهامها يوسف في المرة الأولى حاولت تبرئة نفسها من الخطيئة الحاصلة وإلقاء التبعة على يوسف، غير انها تعترف الآن وفي غياب يوسف أنها لا تكرر ما اتهمته به اولا وتبرئ نفسها فالنفس أمارة بالسوء الا ما رحم ربي.

وبعد هذا الكلام علم الملك علم اليقين أن يوسف نقي الثوب وأنه ضحية كيد النساء العظيم، وليس أدل على ذلك من اعتراف صاحب الاتهام نفسه أمام الملأ ان المتهم كان ضحية النفس الأمارة بالسوء.

وقفة مع الآيتين: ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٢، ٥٣]:

قبل كتابة ما تقدم وقفت متأملا مرات ومرات على هاتين الآيتين لأتبين هوية المتكلم الذي حكى هذا الكلام في هذه القصة القرآنية الاحسن الخالدة أ هي امرأة العزيز أم يوسف الصديق، ووقفت على ما كتبه مفسران كبيران معاصران هما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣ م) والسيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٩٨١ م) وكانا متعاكسين في هوية القائل.

٢٣ السامرائي، التعبير القرآني، ٢٤.
٢٤ ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط١ (بيروت، لبنان: مؤسسة التاريخ، ١٩٧٣م)، الجزء الثاني عشر ٧٨-٧٩.

ففي الوقت الذي يرى فيه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن ظاهر نظم الكلام أنه من قول امرأة العزيز وإن قال به الأقل من المفسرين، ولذا قدمه وأخر الرأي الثاني وصدّره بقيل[٢٥].

يرى السيد محمد حسين الطباطبائي أنه من كلام يوسف واستدل بالسياق ووجهه على حكاية القول، قال: ((وحكاية القول كثير النظير في القرآن كقوله: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥] اي قالوا: لا نفرق))[٢٦].

أي على تقدير (قال) وفاعله المستتر العائد على يوسف قبل كلمة (ذلك ليعلم)، والآية من قول الملك ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ**﴾ [يوسف: ٥١] معترضة بين قول يوسف للرسول: ﴿**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ**﴾ [يوسف: ٥٠] وبين قوله: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**﴾ [يوسف: ٥٢][٢٧،٢٨].

والقول بتقدير القول او بالاعتراض واحد من حيث المغزى، وعلى هذا يكون ضمير الغيبة في (ليعلم)، و(لم اخنه) عائدا على العزيز اي لم أخن سيدي في حرمته حال مغيبه[٢٩].

والغريب أن السيد الطباطبائي حين عرض القول الذي يرى أن هاتين الآيتين هما من كلام امرأة العزيز – على ما هو ظاهر – ونسبه الى جمع من المفسرين أعقبه بقوله: ((وهذا وجه رديء جداً))[٣٠،٣١]، وعدد وجوها دلالية ثلاثة: رأى انها لا تستقيم مع الموقف الذي يرى أن الآيتين الكريمتين هما من كلام امرأة العزيز. أقول وهذا متأت من وجهة نظره الشخصية في تفسير الموقف ليس غير.

والأغرب من هذا أن السيد الطباطبائي في بحثه الروائي الذي من عادته أن يذيل به الآيات التي يفسرها ينقل عن تفسير القمي رواية طويلة عن الامام الصادق عليه السلام توضح ان هاتين الآيتين من كلام امرأة العزيز، نجتزئ منها الآتي: ((فجمع الملك النسوة فقال: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن

٢٥ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء الحادي عشر ١٨٥-١٨٦.
٢٦ ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء الثاني عشر ٨٠.
٢٧ ابن عاشور، الجزء الثاني عشر ٧٩-٨٠.
٢٨ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء الحادي عشر ١٨٦.
٢٩ الطباطبائي، الجزء الحادي عشر ١٨٨.
٣٠ الطباطبائي، الجزء الحادي عشر ١٩٢.
٣١ القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق. السيد طيب الجزائري، ط٣ (قم، ايران: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ)، الجزء الاول ٣٤٦.

نفسه؟ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز: ﴿**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢] أي لا أكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل ثم قالت ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ**﴾ [يوسف: ٥٣]))[٣٢]، ويعقب عليها بقوله: (وقوله: اي لا أكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل، ظاهر في أخذ قوله: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) الى آخر الآيتين من كلام امرأة العزيز)[٣٣] غير انه لم يأخذ بهذه الرواية على صراحتها وأحال إلى رأيه في أن هذا الكلام من كلام يوسف لا من كلام امرأة العزيز[٣٤].

وعند تدقيق النظر في قولي المفسرين المتقدمين بين حمل الآيتين على انهما من كلام يوسف او من كلام امرأة العزيز نلاحظ ان حمله على كونه من كلام امرأة العزيز أليق من حمله على انه من كلام يوسف، وذلك لان الثاني نحتاج معه الى مخالفة نظم الكلام وسياقه المنساب فمرة حمل على الاعتراض وأخرى حمل على حكاية القول.

وعلى الرغم من ان القول بالاعتراض وحكاية القول وارد في كلام العرب والقرآن الكريم، الا اننا لا نرى ضرورة تلجئ الى هذا الحمل ويكفينا نظرا ان نتأمل سياق الآيات الكريمة، ونستحضر المشهد الذي دار فيه الحوار، فسنجده حوارا دائرا في حظيرة الملك ومن تواجد معه من النسوة حصرا، ويوسف ما يزال في غياهب السجن.

زد على ذلك فان القول بالاعتراض او حكاية القول يلجئنا الى أن نعيد الضمير في الفعلين (ليعلم، ولم أخنه) الى العزيز – كما مرّ – على اعتبار أن قائل هذا الكلام يوسف، بعد أن أقرت امرأة العزيز وصرحت أمام الملك بانها هي من قامت بالمراودة ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ﴾ [يوسف: ٥١] وان يوسف من الصادقين في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦].

غير أن سياق أحداث القصة لا يسعف بهذا التفسير، اذ ان العزيز ومنذ الوهلة الأولى للحدث كان على بينة من براءة يوسف من الاتهام، وأن المدبر للمراودة هي امرأته لا سيما بعد أن استمع

٣٢ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء الحادي عشر ١٩٢.
٣٣ الطباطبائي، الجزء الحادي عشر ١٩٢.
٣٤ ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، الجزء الثاني ٣٨٦-٣٩٩ و ٤١٢-٤١٦.

لشهادة الشاهد، وكان من أهل امرأته وطبائع مثل هذه الاحداث أن يميل الشاهد بشهادته الى من هو أمس رحما به، الا انه لم يفعل، والتفت الى دليل عقلي في تدبر الحدث: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٦، ٢٧]، فلما حكم العزيز شهادة الشاهد بدليلها العقلي ورأى قميص يوسف مقدودا من الدبر نطق وهو الحكيم مصرحا: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]. ثم أعقب هذا التصريح بما ينبغي على طرفي القضية فعله بقوله ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]

فهل يحتاج العزيز وبعد هذه السنين تذكيرا من يوسف بانه لم يخنه في غيبه؟ واذا وضعنا الآيات من (٥٠-٥٤) نصب أعيننا نجد فيها حوارا دائرا بين الملك والنسوة في حضيرته ولا وجود ليوسف او للعزيز وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤].

وكان نتيجته أن أصدر الملك للمرة الثانية أمره ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف:٥٠- ٥٤].

بعد ما تبين له تبرئة يوسف في كلام النسوة من اي سوء، واعتراف امرأة العزيز بمراودته، وشهادتها له بالصدق، ثم تصريحها بأن اتبعت الاقرار بالذنب والشهادة له بالصدق بقولها: ((ذلك)) من اجل أن يصل اعترافها وشهادتها ليوسف بظهر الغيب انها وإن كانت قد خانته في المرة الاولى في حظيرة العزيز حضوريا فان الايام والتجارب ومر السنين قد علمنها أن تقول الحق؛ ولذا فأنها لم تخنه غيابيا؛ لان الله لا يهدي كيد الخائنين.

وكانت غاية يوسف في عدم الحضور والاستجابة لرغبة الملك في أمره الاول: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠] أن يتحرى الملك قضيته بنفسه ويرى بأم عينيه ويقر في قلبه أنه نقي الثوب مما اتهم به ولتتضح براءته بساحة الملك شخصيا، لا ان يخرج من السجن كأي سجين تشمله رحمة الملك،

بالأفراج عنه او بالعفو ولذا حين جرى ما جرى أمام الملك، وبعد أن أصدر أمره الثاني: ﴿ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ [يوسف: ٥٤] استجاب لإرادة الملك، فلما حضر وكلمه الملك: ﴿ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: ٥٤]، فأجابه بانشراح صدر وتسديد إلهي: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] وقد حصل أن أودعه الملك ثقته الكاملة كلها في تصريف شؤون البلاد لما رأى فيه من حنكة وتدبر وسداد رأي وأمانة وبعد نظر.

وكل ما جرى من التمكين الاول حين دخل يوسف صبيا يافعا أرض مصر إلى بيت العزيز وما جرى من تتابع أحداث فيما وسمه القرآن الكريم بـ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] كان طريقا للتمكين الحقيقي فيما بعد: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٦] ومصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

الخاتمة

ونحن نلملم طرف البحث الأخير نود أن نلفت النظر الى جملة من النقاط المضيئة فيه نجملها بالآتي:

١- تدرجنا في مماشاة أحداث المشهد القصصي المدروس في السورة الكريمة ابتداء من الآية التي جعلناها مفتاحا لبحثنا حتى الآية الأخيرة.

٢- حاولنا ابراز بعض الدلالات اللغوية للصيغ الفعلية التي عبر بها القرآن الكريم في السورة المباركة للتدليل على دقة الاستعمال اللغوي الذي وظفه للتعبير عن أغراضه.

٣- على الرغم من هذه الدقة التعبيرية في النظم القرآني الا ان سير أحداث هذه القصة ومفاصلها الدقيقة بني على التأكيد في تكرار الالفاظ في بعض الآيات بأنفسها من أمثال ما افتتحت به الآية الاولى للبحث والآية الاخيرة منه وهو قوله تعالى:(وكذلك مكنا ليوسف في الارض_٢١، ٥٦). ومثله ما اعترفت به امرأة العزيز أمام النسوة في انها هي من راودت يوسف بقولها:(ولقد راودته عن نفسه _٣٢) وما شهدت به امام الملك ليوسف على نفسها بقولها: (ولقد راودته عن نفسه -٥١) ومثله في اصرار الملك على الاتيان بيوسف بعد تعبيره رؤياه، وبعد شهادة النسوة وامرأة العزيز ببراءته بقوله: (ائتوني به -٥٠، ٥٤).

٤- صار واضحا ان الآيتين (٥٢، ٥٣) بعد ان استعرضنا مجريات احداث القصة وعرجنا على رأيي مفسرين جليلين معاصرين فيهما ثم استحضار سياق الآيتين الكريمتين وما أحاط بهما من المشهد الحواري انهما من كلام امرأة العزيز لا من كلام يوسف.

المصادر

القرآن الكريم.
ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ط١. بيروت، لبنان: مؤسسة التاريخ، ١٩٧٣م.
ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. تحقيق عبدالله علي الكبير. د.ط. القاهرة، مصر: دار المعارف، د.ت.
ابن هشام، جمال الدين بن يوسف. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب. د.ط. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت.
الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد نور الحسن. د.ط. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.
الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. مفردات الراغب الاصفهاني. د.ط. دار المعروف للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ.
السامرائي، فاضل صالح. التعبير القرآني. د.ط. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، د.ت.
———. معاني الابنية في العربية. د.ط. عمان، الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
———. معاني النحو. د.ط. الموصل: مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩م.
الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط١. بيروت، لبنان: دار الاندلس للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.
القمي، علي بن إبراهيم. تفسير القمي. تحقيق السيد طيب الجزائري. ط٣. قم، ايران: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ.
المبرد، ابو عباس محمد بن يزيد. المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. د.ط. عالم الكتب، د.ت.
شلاش، هاشم طه، و صلاح مهدي الفرطوسي. المهذب في علم التصريف. د.ط. الموصل: مطبعة التعليم العالي في الموصل، د.ت.

References

Holy Quran

Al-Asfahani, al-Husayn ibn Muhammad ibn al-Mufaddal. Mufarradat al-Raghib al-Asfahani. Dar al-Ma'aruf lil-Tiba'ah wa al-Nashr, 1424 AH.

Al-Istirabadi, Radi al-Din Muhammad ibn al-Hasan. Sharh Shafiyyah Ibn al-Hajib. Edited by Muhammad Nur al-Hasan. Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-'Ilmiyyah, n.d.

Al-Mubarrad, Abu 'Abbas Muhammad ibn Yazid. Al-Muqtadab. Edited by Muhammad 'Abd al-Khaliq 'Adima. 'Alam al-Kutub, n.d.

Al-Qumi, 'Ali ibn Ibrahim. Tafsir al-Qumi. Edited by Sayyid Tayyib al-Jazairi. 3rd ed. Qom, Iran: Mu'assasat Dar al-Kutub, 1404 AH.

Al-Samarra'i, Fadil Salih. Al-Ta'bir al-Qur'ani. Mosul: Dar al-Kitab lil-Tiba'ah wa al-Nashr, n.d.

Al-Samarra'i, Fadil Salih. Ma'ani al-Ibniyah fi al-'Arabiyyah. Amman, Jordan: Dar 'Ammar lil-Nashr wa al-Tawzi', 2007.

Al-Samarra'i, Fadil Salih. Ma'ani al-Nahw. Mosul: Matba'at al-Ta'lim al-'Ali fi al-Mawsil, 1989.

Al-Tabataba'i, Muhammad Husayn. Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an. 1st ed. Beirut, Lebanon: Dar al-Andalus lil-Tiba'ah wa al-Nashr, 2010.

Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. Al-Tahrir wa al-Tanwir. 1st ed. Beirut, Lebanon: Ma'had al-Tarikh, 1973.

Ibn Hisham, Jamal al-Din ibn Yusuf. Mughni al-Labib 'an Kutub al-I'arib. Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-Arabi, n.d.

Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram. Lisan al-Arab. Edited by Abdullah Ali al-Kabir. Cairo, Egypt: Dar al-Ma'arif, n.d.

Shlash, Hashim Taha, and Salah Mahdi al-Fartoosi. Al-Muhadhdhab fi 'Ilm al-Tasreef. Mosul: Matba'at al-Ta'lim al-'Ali fi al-Mawsil, n.d.